

المعالم الرئيسية
لحركة الجماعة الإسلامية
في الهند وباكستان

بقلم

الدكتور خورشيد أحمد

المعالم الرئيسية لحركة الجماعة الإسلامية* في الهند وباكستان

بقلم

الدكتور خورشيد أحمد

١ — تعد حركة الجماعة الإسلامية من أبرز حركات الصحوة الإسلامية في العالم المعاصر .

وقد تأسست هذه الحركة رسمياً في السادس والعشرين من شهر أغسطس لعام ١٩٤٠م ، وهي تستمد قاعدتها الفكرية من آراء سماحة الشيخ أبي الأعلى المودودي ، الذي أرسى هو والدكتور (محمد إقبال) قواعد الفكر الإسلامي في شبه القارة الهندية — الباكستانية ، وبعد إنشاء الباكستان في أغسطس ١٩٤٧م ، أعيد تنظيم الجماعة على شكل منظمين مستقلتين وهما الجماعة الإسلامية للباكستان والجماعة الإسلامية للهند ، وكانت الجماعة تتمتع باستقلال ذاتي في كشمير الخاضعة للهند ، كما كان الحال أيضاً في سريلانكا ، حيث كانت الجماعة تمارس نشاطها كمنظمة مستقلة . وفي منتصف السبعينيات تم إحياء الجماعة الإسلامية في بنجلاديش هي الأخرى في حركة مستقلة أيضاً ، وعلى الرغم من أن المنظمات الخمس جميعها تعمل تحت اسم الجماعة الإسلامية ، وتسعى لتحقيق أهداف متماثلة ولها اتجاه عقدي (أيديولوجي) متشابه من جميع الوجوه إلى حد ما ، فليست هناك علاقة تنظيمية تربطها فيما بينها ، فكل منها تعمل مستقلة تماماً ، ولكل منها برنامج واستراتيجيته الخاصة للتغيير والتجديد في إطار الأوضاع السياسية والأيدولوجية التي تواجهها .

٢ — كان سماحة الشيخ/ أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣ — ١٩٧٩م) رحمه الله تعالى واحداً من كبار المخططين لهذه الحركة ، وقد ولد في أورنج آباد (ديكان) — أندرا براديش — بالهند ، وبدأ حياته العملية كصحفي وكاتب ثم أصبح رئيساً لتحرير كبرى الصحف اليومية الإسلامية في الهند وهي الجماعة (AL - Jamiyat) في عام ١٩٢٥م ، ولما يبلغ الثانية والعشرين من عمره ، ونشر أول مؤلفاته الكبرى « الجهاد في الإسلام » في عام ١٩٣٠م . وفي عام ١٩٣٣ تولى رئاسة تحرير المجلة الشهرية « ترجمان القرآن »

* قدم هذا البحث باللغة الإنجليزية وترجمه إلى العربية الأستاذ كمال توفيق الملباوي .

التي أصبحت القناة الرئيسية لنشر أفكاره ، وقد ركز في كتاباته على شرح المبادئ والآراء والقيم الأساسية التي يدعو إليها الإسلام ، وأولى اهتماماً خاصاً للقضايا التي نشأت من خلال التنازع بين المبادئ الإسلامية وأفكار العالم الغربي المعاصر ، كما تصدى أيضاً لمناقشة بعض المشكلات الكبرى في العصر الحديث ، واجتهد في تقديم حلول إسلامية لتلك المشكلات ، ووضع منهجاً جديداً لدراساتها في إطار تجربة الغرب والعالم الإسلامي ، بحيث يقوم علاج هذه المشكلات على أساس المعايير النظرية لسلامتها وصحتها الذاتية ، وتطابقها مع تعاليم القرآن والسنة . وقد كشفت كتاباته عن سعة اطلاعه وعلمه الغزير ، كما كشفت عن إدراك عميق لمغزى تعاليم القرآن والسنة ، ومعرفة تحليلية واعية بالاتجاهات السائدة في فكر الغرب وتاريخه وقد أضفى ذلك كله طلاوة وحيوية على منهجه وأسلوبه ، كما زاد من تأثير دعوته .

وفي منتصف الثلاثينيات بدأ المودودي يكتب في القضايا السياسية والثقافية الكبرى التي كانت تواجه الهند المسلمة في ذلك الوقت ، واجتهد في دراستها وتحليلها من وجهة النظر الإسلامية بدلا من الاقتصار على تحليلها من زاوية المصالح السياسية والاقتصادية قصيرة المدى ، وشن حملة شعواء على الأيديولوجيات العصرية الحديثة التي بدأت تخب الألباب وتأسر قلوب إخوانه في العقيدة وسعى إلى إظهار خواء هذه الأيديولوجيات ، وقد وجه المودودي في هذا الصدد اهتماماً مركزاً لفكرة القومية التي راح يشرح بإصرار جوانبها الخطرة ، كما أوضح تناقضها وتعارضها مع تعاليم الإسلام ، كما أكد المودودي أيضاً أن القومية تعنى فيما يختص بالهند القضاء المبرم على الشخصية الجماعية للمسلمين ، وفي تلك الفترة أفتعه الشاعر والفيلسوف محمد إقبال بترك حيدر أباد والاستقرار في مكان يقع في شرق البنجاب بضاحية باثانكوت ، وقد أسس المودودي فيها مركزاً للدراسة الأكاديمية والبحوث يسمى « دار الإسلام » بغرض التعاون مع إقبال في إعداد الباحثين الأكفاء للدراسات الإسلامية بغية إصدار مؤلفات جيدة المحتوى عن الإسلام ، وقبل ذلك كله صياغة القانون الإسلامي من جديد .

وفي حوالي سنة ١٩٤٠ م تبلورت لدى المودودي آراء حول تأسيس حركة أكثر شمولاً وأوسع طموحاً ، مما حمله على تأسيس منظمة جديدة تحمل اسم « الجماعة الإسلامية » ، وقد انتخب المودودي رئيساً لهذه الجماعة وظل كذلك حتى عام ١٩٧٢ م عندما تخلى عن تلك المسؤولية لأسباب صحية .

ومنذ أن هاجر المودودي إلى باكستان في أغسطس ١٩٤٧ م ، فقد ركز جهوده على إقامة دولة ومجتمع إسلامي حقيقي في تلك البلاد ، وتمشياً مع ذلك الهدف ، كتب بإسهاب في شرح الجوانب المختلفة لأسلوب الحياة الإسلامية وخاصة النواحي السياسية

والاجتماعية ، وقد حمل هذا الاهتمام بإقامة الحياة الإسلامية إلى انتقاد ومعارضة السياسات التي كانت تسير عليها الحكومات المتعاقبة في باكستان وتوجيه اللوم إلى الحكام لتقاعسهم عن تحويل باكستان إلى دولة إسلامية بالفعل ، وقد رد الحكام على تلك الانتقادات بإجراءات انتقامية عنيفة فكثيراً ما اعتقل المودودي ، وأمضى فترات طويلة في السجن ، وقد ترك المودودي خلال سنوات الكفاح والاضطهاد تلك أثراً عميقاً في نفوس الجميع بما فيهم نقاده وخصومه وبهرهم بثبات همنته وصلابة عزمته ، وبصفاته البارزة الأخرى ، فعندما صدر الحكم بإعدامه في ظل الأحكام العرفية في عام ١٩٥٣ م بتهمة تحرير كتيب يدعو لإثارة الفتنة عن مشكلة القاديانية رفض بإصرار تقديم التماس لاستعمال الرأفة بتخفيف الحكم ، وأعلن بكل رضا أنه يفضل الموت على طلب العفو ممن يريدون شنقه ظمناً وعدواناً ، وقال بيقين الواثق من أن الموت والحياة بيد الله وحده ، موجهاً حديثه لولده وزملائه : « إذا كان أجلي قد حان ، فلن يستطيع أحد أن يرد الموت عني ، وإذا لم يكن قد حان بعد فلن يستطيعوا إرسالني إلى المشنقة حتى لو شنقوا أنفسهم عن بكرة أبيهم وهم يحاولون ذلك » . وكذلك رفضت أسرته تقديم أي التماس للعفو عنه . وقد أدهشت هذه الصلابة الحكومة التي اضطرت تحت ضغط الرأي العام في الداخل والخارج إلى تخفيف حكم الإعدام إلى السجن المؤبد .

وقد توفي الإمام المودودي في سبتمبر ١٩٧٩ م بعد أن شارك في الحياة العامة مدة تقرب من ٦٠ عاماً ، وكان خلال تلك الأعوام المديدة دائم النشاط في التعبير عن دعوته بالقول والعمل . وقد كتب ما يزيد على مائة وثلاثين كتاباً وكتيباً ، وألقى ماينوف على الألف من الخطب والتصريحات الصحفية سجل منها ما لا يقل عن ٧٠٠ خطبة وتصريح .

ولقد كان قلم المودودي غزير الإنتاج ، قوياً متعدد الجوانب في آن واحد . وتميزت قائمة الموضوعات التي عالجها بقلمه بتنوع وفير ، فقد أولى اهتمامه لكثير من فروع المعرفة مثل التفسير والحديث والقانون والفلسفة والتاريخ ، وتناول العديد من المشكلات الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية وغيرها ، واجتهد في بيان الصلة بين تعاليم الإسلام وبين هذه المشكلات ، ولم يخض المودودي في المجال الفني للمتخصصين ، ولكنه شرح أساسيات الموقف الإسلامي في معظم مجالات العلم والبحث ، وإن كان إسهامه الأكبر يظهر في مجالات تفسير القرآن الكريم والأخلاق والدراسات الاجتماعية والمشكلات التي تواجه الحركة الدولية للصحة الإسلامية ، وكانت آخر مؤلفاته الجزأين الأولين من كتابه عن حياة النبي ﷺ ، واللذين يتناولان العصر المكي ، ولم يكمل تأليف هذا الكتاب حيث سبقه الموت إلى ذلك .

غير أن أعظم مؤلفاته هو تفسير القرآن الكريم باللغة الأوردية ، وهو عمل ضخم صدر بعنوان « تفهيم القرآن » ، وقد استغرق تأليفه وإعداده ثلاثين عاماً ، وأبرز خصائص هذا التفسير أنه يعرض لمعاني القرآن الكريم وأغراضه بلغة وأسلوب ينفذان إلى قلوب أبناء الجيل الحاضر وعقولهم رجالاً ونساء ، ويبين للناس صلة القرآن بحياتهم ومشكلاتهم اليومية ، سواء على المستوى الشخصي أم على مستوى المجتمع كله ، وقد ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأوردية الحديثة بأسلوب جزل مباشر ، فجاءت ترجمته بليغة وسهلة القراءة وهو مافتقر إليه الترجمات الحرفية العادية للقرآن الكريم ، فقد قدم القرآن كتاب هداية للحياة البشرية ، ودليلاً للحركة لكي تنفذ هذا الهدى وتطبقه في الحياة البشرية ، كما فسر آيات القرآن الكريم ضمن السياق العام لرسائله ومقاصده ، وكان لهذا التفسير أبعاد الأثر في الفكر الإسلامي المعاصر في شبه القارة ، بل وامتد تأثيره خارجها عن طريق الترجمات التي وضعت لذلك التفسير .

وقد نمت الجماعة الإسلامية وهي الحركة الإسلامية التي أسسها المودودي ، وتطورت إلى منظمة دينية سياسية قوية جيدة التنظيم واجتذبت إليها الناس من كل الطبقات ، وقد كان لها تأثير قوي بوجه خاص في أهل الفكر والشباب في شبه القارة الهندية .

٣ — تم تأسيس الجماعة الإسلامية كحركة أيديولوجية (عقدية) مختلفة عن غيرها من الأحزاب الدينية أو السياسية ، فقد تم تأسيسها ، وإدارتها طبقاً لدستور مكتوب ، وكان هدفها المعلن هو : « ابتغاء مرضاة الله عن طريق السعي لإرساء النظام الإسلامي بأكمله — إقامة الدين . وعضويتها مفتوحة للجميع ، ولكن لها متطلبات عسيرة قبل من يلتزمون بنظامها ، ولذلك توجد فئتان للعضوية : ركن ومتفق ، وعلى حين نجد عدد الأركان محدوداً جداً ، فإن عدد الأعضاء المتفقين في باكستان وحدها يزيد على المليون .

ما الاستراتيجية الأساسية التي اتبعتها الجماعة لتحقيق التحول الإسلامي للمجتمع ؟
هذه الاستراتيجية يلخصها برنامج الجماعة الذي يتألف من أربع نقاط :

(أ) النقطة الرئيسة الأولى في هذا البرنامج نقطة فكرية ، ونعني بذلك شرح تعاليم الإسلام شرحاً واضحاً ، مجرداً من جميع الآراء الخاطئة ، ومنقى من جميع الإضافات الدخيلة والضارة ، وهذا الشرح ينبغي تكييفه أيضاً لبيان كيف يمكن تطبيق تعاليم الإسلام في عالم اليوم ، وما الخطوات التي يجب اتخاذها لإقامة نظام سليم للحياة ، ويتطلب ذلك تقويم كل من التراث الإسلامي والحضارة الحديثة ، على أن يعقب ذلك اختيار العناصر الصالحة والقويمة منها بطريقة حصيفة واعية ،

وفيما يختص بتعاليم الإسلام والسنة ، فإنها ملزمة إلى الأبد ، ولذلك يجب أن يسير عليها المسلمون في كل عصور التاريخ .

(ب) والبند الثاني في البرنامج هو ضرورة الوصول إلى جميع الأشخاص الذين لديهم ميل للاستقامة والصلاح ، ولديهم استعداد للعمل من أجل نشر وتدعيم الأخلاق الفضلى في حياة الناس ، فلا بد من التعرف على هؤلاء الأشخاص وجمعهم سوياً في هيئة منظمة ، ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل ينبغي بذل الجهد أيضاً لمساعدة هؤلاء الأشخاص على تكوين رؤية مستقبلية واضحة وعلى تطهير حياتهم ، وتربية مقومات الأخلاق الحسنة في نفوسهم ، وبعد أن تبرز على مسرح تاريخ الإنسانية جماعة من الناس تجمع بين الرؤية الإسلامية الصحيحة والخلق الإسلامي جنباً إلى جنب مع الكفاءة العقلية والمهارة اللازمة لتسيير شؤون هذا العالم ، وبعد أن توحيد مواردها وتستجمع قوتها وتناضل بطريقة منظمة ، فسوف يأذن الله بقيام النظام الإسلامي . ومن هنا تسعى الجماعة للتأكيد على ضرورة وجود نواة داخلية من الرجال والنساء من ذوي الاستقامة الواضحة والتفاني الشديد أساساً للصحة الإسلامية .

(ج) أما البند الثالث في البرنامج ، فهو السعي لإحداث تغيير في المجتمع ، وتحقيق الإصلاح في ضوء التعاليم الإسلامية ، وخلاصة هذه الفكرة أن الأشخاص الذين كرسوا جهدهم لقضية الإسلام ، أو الذين لديهم اتجاه إسلامي وحرص على رفاهية المجتمع البشري على الأقل يجب أن يأخذوا زمام المبادرة ويكرسوا وقتهم وجهدهم ومواردهم لتحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من التغيير النافع والإصلاح ، ويتميز برنامج إصلاح المجتمع بأنه برنامج شامل جامع ويتخذ هذا البرنامج من المسجد محوراً لكل الأنشطة الإسلامية ، وإلى جانب ذلك يركز البرنامج تركيزاً شديداً على التعليم ، فيجب توصيل تعاليم الإسلام الأساسية لعامة الناس ، كما يجب عمل الترتيبات لتعليم الكبار ، وفتح قاعات للمطالعة والقراءة لنشر الاستنارة ، كما يجب إنشاء المؤسسات التعليمية من مختلف المستويات ، وفي مجال الحياة الاجتماعية يشدد البرنامج على الاستعانة بضغط الرأي العام للحيلولة دون تعرض الناس للظلم ، ونشر الوعي بالصحة العامة والنظافة وتعزيز التعاون بين الناس لتوفير الأحوال المعيشية السليمة لهم ، وإعداد قوائم بأسماء اليتامى والأرامل والمعوقين والمقعدين والطلاب الفقراء ، وعمل ترتيبات لتقديم مساعدات مالية لهم ، والعمل على توفير المتطلبات الصحية للناس وخاصة الفقراء منهم ومن الواضح أن الهدف المستوحى من المثل العليا الإسلامية هو تعزيز الجوانب الدينية

والأخلاقية والاجتماعية في حياة الناس ، وتدعيم رفاھيتهم المادية ، والتحرك نحو إيجاد الظروف الاجتماعية التي تؤدي إلى إحداث تحول كامل في الحياة البشرية .

(د) أما النقطة الرابعة في البرنامج فإنها تتطلع إلى تغيير القيادة بالمعنى العام لهذا الاصطلاح فهو يشمل القيادة الفكرية والقيادة الاجتماعية والثقافية ، وكذلك الزعامة السياسية في نهاية الأمر ، وهذه الزعامة الأخيرة تمثل ذروة عملية التغيير فالدولة ينظر إليها على أنها وسيلة لاغنى عنها لإقامة النظام الذي يتصوره الإسلام ، فلا يمكن تصور الدولة الإسلامية الحققة إلا إذا أدار شؤونها أناس لديهم رؤية إسلامية واضحة والتزام إسلامي واضح ، وعلى خلق قويم ، وعندهم الكفاءة والاقتدار .

كيف يمكن تحقيق هذا التغيير في القيادة ؟؟

فيما يختص بالقيادة غير السياسية ، لعله من الممكن تحقيق الشيء الكثير بتنمية خصائص القيادة في الأشخاص الذين يتوافر لديهم الاتجاه السليم ، وقد جعلت الجماعة الإسلامية ذلك أحد أهدافها باستمرار .

أما فيما يتعلق بتغيير الزعامة السياسية ، فإن هذا التغيير يمكن تحقيقه عن طريق الانتخابات العامة . فقد كانت الجماعة يراودها الأمل في أنه إذا استمرت الحركة الإسلامية في كفاحها بصبر وأناة ، فإنها سوف تتمكن في نهاية الأمر من تنصيب الرجال الأتقياء سدة الحكم ، كما تعتقد أيضاً أن النظام الديمقراطي يشكل الإطار الذي يمكن أن تزدهر فيه الحركة الإسلامية ، وتستجمع فيه قواها ، وتحقق التحول الشامل الذي تطمح لتحقيقه ، ولهذه الأسباب كلها تودّ الجماعة إقامة نظام ديمقراطي حقيقي في الباكستان .

٤ — وأخيراً يجدر بنا أن نلخص الإضافات المتميزة للجماعة الإسلامية ، وأن نوجز أيضاً ما تواجهه من مشكلات :

(أ) لقد ظهرت الجماعة الإسلامية كحركة أيديولوجية (عقدية) ولم تكن مجرد حزب ديني أو سياسي ، وحاولت التأثير في كل جوانب الحياة الإسلامية تقريباً ، الفكرية والثقافية والأخلاقية والتربوية والأدبية والاقتصادية والسياسية ، فهي لاتدعو للإصلاح الجزئي ، وإنما تدعو للتغيير الشامل ، ويأتي تفرداها من شموليتها ، والتي تمثل أبرز حسناتها وميزاتها ، وهي التي كانت أيضاً السبب في بعض المتاعب والعقبات التي كان عليها أن تواجهها ، فلقد تأثرت بنشاطها بطريقة أو بأخرى كل جماعة من الجماعات الراسخة في المجتمع ، حقاً إن أتباعها كانوا

يمثلون جميع فئات المجتمع ، ولكن تحديها شعرت به كل الأوساط ، ومن هنا نشأت المعارضة !!

(ب) ثانياً ، يبرز الإمام المودودي والجماعة الإسلامية مؤثرات فذة في تحقيق الصحوة المعاصرة التي تدرك أن الإسلام ليس مجرد ديانة بالمعنى الضيق لهذه الكلمة ، بل هو دين ، أي طريقة كاملة للحياة ، فلا تتحقق متطلبات العقيدة بمجرد أداء العبادات ، ولا بد من إعادة الصلة بين الصلاة وطاعة الله في جميع مناحي الحياة ، فإذا لم يتم القضاء على المنكر والفواحش نتيجة لأداء الصلاة ، فإن صلاتنا لا تؤدي وظيفتها في المجتمع ، ولا بد من إرساء الحاكمية لله سبحانه وتعالى في جميع مجالات الحياة البشرية ، فالمسجد والبرلمان والتقوى والعدل والذكر والشريعة كلها أبعاد غير قابلة للتحويل لذات الحقيقة ، فالوفاء بمتطلبات الإسلام لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الاستسلام الكامل لله . ومن خلال إقامة النظام الإسلامي بأكمله . إن إقامة المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية إنما هو جزء من النموذج الذي وضعه النبي ﷺ بقدر ما يعتمد على ورع الأفراد وتمسكهم بالفضائل في العلاقات الجنسية ، وربما كانت هذه الآراء تعبيراً رقيقاً في العشرينيات والثلاثينيات ، ولكن نحمد الله أنها أصبحت اليوم لغة البعث الإسلامي ، ولها تأثير ضخم في تشكيل مستقبل العالم الإسلامي .

(ج) إن الجماعة الإسلامية وهي تستمد أفكارها من الأسوة النبوية ومن مبدأ التجديد والإحياء المعروف في التاريخ الإسلامي ، قد تحدث المنهج الغربي لتغيير المجتمع والذي يتألف أساساً من إصلاح المجتمع ومؤسساته ، أما استراتيجية التغيير الإسلامية فإن قوامها التغيير داخل الإنسان (الإيمان وحسن الخلق) والتغيير من الخارج أي المجتمع ومؤسساته ، ولهذا السبب شددت الجماعة الإسلامية على أن إحياء الإيمان والتحول الأخلاقي للأفراد هو مفتاح التغيير الاجتماعي الصحيح ، فلا بد من تغيير المجتمع ومؤسساته ، وإخراج زعامة جديدة لكي تضمن أن النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي يعكس أيضاً ذات القيم التي تشكل أساس الورع الشخصي ، ولا بد أن تتطابق الفضائل الشخصية مع الأخلاقيات الاجتماعية ويعزز كل منها الآخر ، ولما كان هذا هو المنهج الأساسي ، فقد أصبح إحياء الفكرة والأخلاق الإسلامية هو الشغل الشاغل للجماعة الإسلامية ، والتي أصبحت بذلك حركة للتعليم وإعادة التأهيل ولذا فإن تعليم الفضائل وبناء الخلق القويم يحتل مكاناً رئيساً في البيئة التي تبنيتها الجماعة

من أجل التغيير ، ومن هنا جاء التشديد على الانضباط والتهذيب الشخصي وجعل عضوية الجماعة من فئتين .

(د) حاولت الجماعة الابتعاد عن المنازعات الطائفية والخلافات الدينية التقليدية ، مؤكدة أن القرآن الكريم وسنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه هما لب العقيدة وأساس الثقافة الإسلامية ، ويجب ألا تنفصل عن تاريخنا وتقاليدنا ، ولكن يتعين علينا أيضاً أن نفرق بين ماهو أساسي وبين ماهو هامشي ، بين المثل والقيم والمبادئ وبين التفاصيل والجزئيات الثانوية التي برزت في عصور مختلفة من تاريخنا . أما الخلافات الأصلية والاختلافات الحقيقية في الرأي والتأويل فيجب أن تكون محل احترامنا وأن ننظر إليها باعتبارها مجالاً للمرونة في الإطار الإسلامي العام ، وبدلاً من أن يدمر بعضنا بعضاً بسبب خلافاتنا ، يجدر بنا أن نتعلم كيف نعيش مع خلافاتنا وأن نعمل للبناء فوق المساحة الكبيرة من اتفاقنا .

(هـ) لقد برزت الجماعة الإسلامية قوة ثالثة ، أو حركة وسطية سدت الثغرة التي تفصل بين من يسمون العصريين الذين تبنا — دون تمييز تقريباً — نموذج التحديث الغربي ، وبين من يسمون المحافظين الذين رفضوا قبول أي تعديل أو خروج عن الوضع الإسلامي القائم ، أما الجماعة الإسلامية فإنها تناضل من أجل التغيير والإصلاح ، ليس تقليداً للغرب ، وإنما اعترافاً بأن العالم قد تغير تغيراً مادياً بتأثير الحضارة الغربية التي تتعارض قيمها الأساسية مع مثل الإسلام وقيمه ، ولكن ليس معنى هذا أن كل شيء نشأ في الغرب من الضروري أن يتنافى مع الإسلام ، فيجب أن نتعلم من تجارب البشرية دون أن نعرض للخطر مبادئنا وقيمنا ، وإن الأفكار المستوحاة مباشرة من القرآن والسنة ، والاستعداد للأخذ من جميع مدارس الفكر الإسلامي تضمن مرونة كبيرة وقابلية للتكيف مع موقف الإسلام ومنهجه في مواجهة التحدي القادم من الغرب ، وكانت نتيجة هذا المنهج أن استطاعت الجماعة تكوين أعضائها بالاعتماد على كل من الفئات المتعلمة تعليماً حديثاً وفئة العلماء التقليديين ، فهذه الجماعة تمثل نقطة التقاء بين الفريقين .

(و) لقد أثرت الجماعة في الناس من شتى الفئات والطبقات ، ولكن فضلها الأكبر يتمثل في إنقاذ الملايين من الشباب المسلم من عذاب الشك في مبادئ الدين وانقاذها من الكفر ، فقد قدمت لهم الإسلام بديلاً للأيديولوجيات المعاصرة التي تدعو للعلمانية والتحررية والقومية والاشتراكية والرأسمالية وما شابهها ، وأعطتهم ثقة جديدة في الإسلام وفخراً جديداً للعمل من أجل سيادة الإسلام ، وقد تحقق ذلك جزئياً بتأثير المطبوعات الجديدة التي أصدرتها الحركة ، حيث تم إنتاج

أكثر من ٥٠٠ مؤلف أصلي خلال العقود الخمسة الماضية ، كما اشتغلت أكثر من عشر مؤسسات في شبه القارة بإنتاج مؤلفات جديدة عن الإسلام توضح صلته الوثيقة بمشكلات اليوم والغد .

وأما بصدد الحديث عن بعض المشكلات التي تواجهها الجماعة فلقد أسلفنا القول بأن الطبيعة الشمولية لعمل الجماعة قد أوجد كثيراً من المشكلات سواء من حيث الكم أو النوع ، كان على الحركة أن تصارعها ، فالمعارضة من داخل المجتمع الإسلامي ومن جانب القوى والدوائر الغربية ليست بالأمر الهين ، ولم يكن الصدام والمجابهة شراً محضاً ، ولكنهما كانا السبب في الضريبة الفادحة التي دفعتها الحركة . ولقد أثرت الحركة تأثيراً كبيراً في الطبقات المتعلمة ، ولكن تأثيرها في الجماهير وعامة الناس مازال محدوداً ، لقد طورت لغة جديدة للسياسة الإسلامية ، ولكنها لم تنجح حتى الآن في التغلب على مصادر السلطة التقليدية في المجتمع ، وكان نتيجة ذلك أن وزنها وتأثيرها المعنوي والأيديولوجي لم يترجم بالكامل أو بشكل سليم إلى وزن سياسي .

وكان لهذه الحركة تأثيرها باعتبارها أيديولوجية بل وجماعة ضغط ، ولكنها ليست مؤثرة حتى الآن كقوة سياسية ، ولن نبعد كثيراً عن الحقيقة إذا قلنا إنها قد بدأت عملية جديدة ، بل وحركة باهرة بارزة ، ولكن هذه العملية لم تصل بعد إلى مرحلة النضج والاكتمال ، والحمد لله أن قد لاح الآن ضوء في الأفق ، وإن لم يتبدد بعد كل الظلام ، فلنضرع إلى الله ولنجاهد لكي تنحسر فلول الظلام ويعم الضوء الأفق كله ويظهر الحق ويذهب الباطل .

